سيناريوهات لأدب أطفال متجدّد عبر السّرد الرقميّ التفاعليّ

مهى جرجور *

تاريخ الورود:	**١٨ كانون الثاني ٢٠٢٥**
تاريخ الموافقة على النشر:	**١٠ آذار ٢٠٢٥**
تاريخ التحرير والمراجعة:	**٣٠ آذار ٢٠٢٥**
تاريخ النشر:	**٢٠ نيسان ٢٠٢٥**

الملخص

ننطلق، في هذه الورقة المعنونة "سيناريوهات لأدب أطفال متجدّد عبر السّرد الرقمي التفاعليّ"، من فرضية مفادُها أنّ أدب الطفل يؤدّي دورًا مهمًّا في بناء شخصية أبناء الغد، ولا بدّ من استثماره من أجل حماية حقوق أبنائنا الشخصية وحمايتهم من أيّ خطر يهدّد صحتهم العامّة والصحة النفسيّة التي قد تنجم بسبب الذكاء الاصطناعي أو غيره، وذلك عبر إنتاج أدب طفل متجدّد وجاذب ومؤثّر، يستفيد من مقولات علم نفس، ويوظّف التقنية والوسائط المتعددة لينافس طوفان المعلومات والفيديوهات التي تقتحم حياتَنا وحياة أولادنا من دون توقّف.

وتبيّن هذه الورقة الأسباب الموجبة للتجديد في أدب الطفل، انطلاقًا من الخصائص التي يتميّز بها متلقوه. وتظهر بعض أوجهه على مستوى القرار، ومستوى الموضوعات والمقاربات، ومستوى أساليب السرد، ليصبح

* أستاذة دكتورة في ملاك الجامعة اللبنانية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، Maha.jarjour@ul.edu.lb

السرد معبّرًا عن يوميّات الطفل المعاصر الحقيقيّة، ويمدّه من خلال نماذج الشخصيات التي يقدّمها بخبرة الناضج في التعامل مع المواقف والقضايا المستجدة والشائكة التي يمكن أن يتعرّض لها، في زمن الزائف والتافه والمخيف. ونُنهي الورقة باقتراح سيناريو تجديديّ تطبيقيّ من تأليف الباحثة مع طرح التوصيات المناسبة للبحث.

الكلمات المفاتيح: أدب الطفل، القصة التفاعليّة، تغيرات حضاريّة، سرد تفاعليّ، كتابة تفاعليّة

مقدمة

منذ القديم، شكّلت القصّة حلقة وصل بين الأجيال. ويظهر هذا في الأساطير والحكايات الشعبيّة، ونموذج الجدّة التي تروي والأجواء الغامضة والمثيرة التي كانت تُحدثها في عقول الأطفال ووجدانهم والمتعة المتأتّية من سماع قصص الآخرين، خير دليل على ذلك...

ويتّفق الجميع، في أنحاء العالم، على أهمية أدب الطفل في التربية والتعليم والتسلية. لذلك، تعدّدت وسائطه وأشكاله، وتضاعفت مصادره وأساليب روايته... وكثُر اعتماده في المدارس، ولا سيما في تعليم اللغات وغيرها.

ما المقصود بأدب الطفل؟ ولمَ عليه أن يكون متجدّدًا؟ وما هي أوجه التجديد هذه، وكيف؟

يقصد بأدب الأطفال كل ما كُتب وصُوِّر وقُرئ ليقرأه الطفل ويراه ويسمعه بأقلام أطفال أو راشدين. وتختلف مكانته في دور النشر والمدارس والفضائيّات والمواقع الالكترونيّة... ومن مميزاته الخاصّة، أنّه الأدب الوحيد الذي يلتصق اسم نوعه باسم متلقيه (جرجور، ٢٠١١، ص ١٦-١٨).

ويتّفق الجميع على أنّه أدب شائك يفترض التجدّد الدائم، ومحاكاة جمهوره المتنوّع والمختلف، لارتباطه بمراحل نموّ الطفل وخصائص كل مرحلة عمريّة، ولارتباطه بالثقافات المتنوّعة بتنوّع المجتمعات البشريّة من جهة، ولأنّه يُقدّم إلى قارئ يتعلّق بالقصّة وشخصياتها ويحاول تقليدها، من جهة أخرى.

وهنا، أيمكن القول إنّ ما يقدّم إلى الطفل هو ما يريده اليوم فعلاً أم إنّنا نقدّم له ما نعتقد نحن أنّه مناسب؟

إذا تتبعنا سيرورة إنشاء هذا الأدب منذ لحظة الكتابة إلى لحظة وصول الكتاب/ المنتج إلى الطفل، نرى أنّ مَن يكتبه راشد، ومَن يقرّر نشرَه راشد ثانٍ، ومَن يقرأه للطفل في مراحله الأولى ويفسّره له راشد ثالث، ومَن يتلقاه في نهاية الأمر هو الطفل (بتنوّع قدراته الذهنيّة والعقليّة...). وكلّ فريق من بينهم يتحرّك ضمن منظورات قد تلتقي وقد تختلف. وعلى هذا، قبل أن يصل النصّ إلى الطفل، يتمّ تصديره تبعًا لما يراه المؤلف، وما يراه الوسطاء الممثَّلون بالناشر (الورقيّ / الالكترونيّ) والقارئ الراشد: أي الأهل والمدرّسون، المنفّذون بشكل مباشر أو غير مباشر لسياسة دولة أو نهج تربوي معيّن محافظ أو غير محافظ... ماديّ أو محايد...

من هنا، فإنّ ما يصل الطفل من أدب ويسمّى أدبًا للأطفال هو أدب من منظور القيّمين عليه، لأنّ مشاركات الأطفال في الكتابة في عالمنا تكاد تكون نادرة، فيأتي ما يراه الأطفال حقيقة، غالبًا، في أسفل السلّم.

١. ما الذي يريده الطفل المعاصر؟

إنّ الإجابة عن هذا السؤال متشعّبة المناحي، وتفترض دراسات متداخلة التخصّصات. لكنّ نظرة سريعة على واقع الحال، تبيّن أنّ:

- نسبة مبيعات الكتب تتدنّى بشكل تدريجيّ، بشكل عامّ في البلاد العربية.
- نسبة القراءة تتراجع على الدوام، وباتت شبه محصورة بالأنشطة الثقافيّة العامّة أو في المدارس (قراءة وأنشطة موجّهة...).

ناهيك عن أنّ طفل اليوم محاط بالصورة والفيديوهات المسيطرة على عالمنا بشكل كبير، ولا سيما تلك التي تبثّ الأفكار المشجّعة على الشهرة والثراء السريع، بالإضافة إلى أفكار وقيم مغايرة لما هو متعارف عليه، مقدّمة إدراكًا جديدًا للعالم الذي يحيط به، عبر تقديم مفاهيم جديدة، وتصوّرات جديدة للكون وعناصرِهِ والعلاقات المشكّلة لبنيانِه. وفي الوقت نفسه، تحاكي حبّه للمرح والتسلية والمغامرات والمدهش والمختلف... وتجعله يشعر بالقوّة والحريّة وبأنّه قادر على الاختيار والتفاعل... والمنافسة والانتصار... حتى لو كان الانتصار انتصارًا وهميًّا...

وعليه، لم يعُدْ أدب الطفل، والورقيّ تحديدًا، (قصص ومجلات) للأسف، من مجالات التسلية والترفيه، ولا من مصادر المعرفة والتعرّف إلى العالم بالنسبة إلى الطفل. ولم يعُدْ متلقّي أدب الطفل في زمن الانترنت والذكاء الاصطناعي، هو نفسه، ويتّصف بخصائص ثابتة تتوافق مع خصائص مراحل الطفولة المعروفة. بل صرنا نراه مفتونًا بنماذج معيّنة مشهورة بغض النظر عن الـ"كيف"، ونرى توجّهًا أوسع نحو الألعاب التفاعليّة، وتوجّهًا ثانيًا واسع النطاق للمشاركة في صناعة المحتوى والنشر عبر وسائل التواصل، ولا سيما عند الناشئة، بهدف تحقيق الربح الماديّ الوفير، أسوة ببعض النماذج المشهورة التي باتت تشكّل نماذج يحتذون بها.

من هنا، لم يعُدْ بالإمكان أن نقدّم إلى أطفالنا الأفكار كما اعتدنا في الأزمنة السابقة، وأن نرسم لهم عالمًا ورديًّا بعيدًا كلّ البعد من ملامح مجتمع العنف والمشاكل بأنواعها المختلفة... ونحن نعرف أنّهم يتعرّضون للصدمات المتنوّعة، وللأفكار الغريبة المغلوطة والزائفة. بل صار لزامًا علينا أن نعيد التفكير في ما نكتب وطرائقه، ونسأل عن الوجه الآخر لهذه المظاهر، وعن آليات تظهير سلبياته والإفادة من حسناته لمساعدة

الطفل على عدم الغرق فيه، والخروج منه لبناء أفق خاصّ به من جهة، وأفق له طابع وطنيّ وإنسانيّ عامّ من جهة ثانية.

٢. ضرورة التجديد وواقعه

يلتقي المعنيون بأدب الأطفال حول ضرورة التجديد، وصرنا نرى محاولات ومبادرات مختلفة في أرجاء الوطن العربي، ومنها:

- محاولات اللّحاق بركب التكنولوجيا عبر نشر قصص الأطفال عبر الويب، أو إنشاء مواقع متخصّصة للأطفال.
- بروز جوائز عربيّة عديدة تحفّز على مشاركة الأقلام الشابة، وتشجّع المواهب (جائزة اتّصالات لكتاب الطفل – جائزة الشارقة للإبداع العربي – جائزة مصر لأدب الأطفال...) إلّا أنّ الرعاية الكاملة للمؤلّف تبقى قاصرة عن تمكينه من الاستمراريّة في هذا العمل.
- تنظيم المعارض والمهرجانات وإقامة أنشطة تتعلّق بالطفل وأدبه في إطارها...

وانطلاقًا من مراجعة عناوين الكتب المنشورة في المواقع الإلكترونية الخاصّة بالأطفال، نرى أنّ اتّجاهات نشر أدب الأطفال الحالي تتجلّى على النحو التالي:

- نشر الكتب الموجّهة لمَن هم دون الثماني سنوات، مع بعض الاستثناءات البسيطة، ولا سيّما في مواقع دور النشر اللبنانيّة المتخصّصة للأطفال، (دار أصالة، ودار الحدائق، ومكتبة سمير...)، كون العائلة اللبنانية، بشكل عام، تشجّع على القراءة في هذه السّن من أجل ضمانة تفوّق أولادها في المدرسة، أو لإدراك سائد (عند الأهل والمدرّسين) أنّ القصّة تسهم في إيصال المفاهيم بشكل أسرع إلى الطفل.

وتتنوّع قصص هذه الكتب بين الواقعيّة، والخياليّة، وقصص الحيوان، مع ترجيح للفئة الأولى وانحسار للفئتين التاليتين. وتبقى وظيفة هذه المواقع محصورة بتسويق الكتاب لا أكثر، ولا تتيح أي مجال لأي

نوع من أنواع التفاعل المتاحة للأطفال في مواقع أخرى، من مثيلات تلك الموجّهة لفئة الطفولة المبكرة. (راجع الملحق٢)

- نشر الكتب التي تعبّر عن انتماء أصحاب الموقع أو الدار، فترى طغيان نوع من أنواع الكتب على الأنواع الأخرى بشكل واضح ومتناسب مع توجّهاتهم ورؤيتهم إلى طفل المستقبل. على سبيل المثال: كتب تراثيّة، كتب دينيّة، كتب تتضمّن معارف معيّنة، أو معلومات عن الأعلام العرب... سلاسل مغامرات، كتب هادفة لتكوين شخصية الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة متخصّصة في مشكلة نفسية أو اجتماعيّة أو لغويّة أو حدث معيّن(علاجيّة) وغيرها، نراها في مواقع: صغارنا، عصافير، موقع قصص الأطفال العربيّة، دار الحدائق، دار أصالة... وبعض هذه المواقع مجانية، وبعضها الآخر يفرض دفع مبلغ رمزيّ.
- نشر مواد للأطفال في بعض مواقع يوتيوب لأهداف تعليميّة لسنّ الطفولة المبكرة.
- نشر عناوين من أمثال: "موقع الأطفال أو قصص للأطفال قبل النوم، أو أجمل قصص الأطفال"، وعناوين أخرى مشابهة، يتمّ حشرها في مواقع عامّة، تتضمّن معلومات متنوّعة، وتُنسب الى قصص لا يمتّ مضمونها الى مفهوم أدب الطفل بصلة... وبما أنّنا لا يمكن أن نصنّف محتوى هذه المواقع المماثلة في غالبيته بأنّه أدب، لكن، لا يمكن أن نتجاهل سطوة المحتوى المنشور على أذهان المشاهدين، بغضّ النّظر عن مضمونه، أو نتجاهل المعلومات الكثيرة التي تبثّها هذه المواقع في مدّة زمنية قصيرة جدًّا، وتصل المتلقّي من دون بذل أي جهد يُذكر. وهنا تصبح مسألة المنافسة بين القراءة والمشاهدة محسومة لمصلحة المشاهدة، كونها تختصر الوقت وتتجاوز الملل، ما يُسرف انتباه الطفل وتركيزه عن قراءة القصص الأدبيّة الهادفة، وما يمكن أن تقدّمه له من قضايا، ولا سيّما في النصوص الّتي تحتاج إلى بذل الجهد في قراءتها، أو تكون لغتُها صعبة أو خارج مدار اهتمام الطفل / القارئ...

انطلاقًا مما تقدّم، تتبلور أوجه ضرورة التجديد على النحو التالي:

٣. أوجه التجديد على مستوى أصحاب القرار

تتبدّى أوجه التجديد على مستوى أصحاب القرار بدءًا من مواجهة التحديات القديمة المتمثّلة بالعزوف عن القراءة، والجديدة المتمثّلة بسيطرة الفوضى على هذا الحقل عبر الانترنت، وذلك من خلال:

١. وضع سياسة شاملة عامّة تتبنّاها الجهة القانونيّة المعنيّة في بلد من البلاد العربية من أجل تحديد الملمح الحقيقي للطفل الواقعيّ الذي أنتجته وتنتجه وسائل التواصل والإعلام الوافدة إلينا يوميًّا وليس الطّفل العربي الذي يعتقد أنّه عليه، مقابل ملمح الشاب العربي المستقبلي المأمول.

٢. وضع سياسة تربوية مبنيّة على التربية على المواجهة والاختيار والإدارة الحكيمة، تعبّر عن رؤية موحّدة لجميع الأطراف المعنية به: مبدعين، وسطاء، أساتذة وقراء... تُستتبع بخطّة استراتيجيّة تشارك فيها الجهات المعنيّة، تكمن نقطة الانطلاق فيها من العمل على آليات توظيف أدب الطفل في تنشئة شباب الغد، وآليات استثماره لتقريبه من المتلقّي وجذبه إلى فضائه.

٤. أوجه التجديد على مستوى الموضوعات

مع انتشار المعلومات في عصر المعرفة، لم تعد المعلومة بحدّ ذاتها هي الهدف، وإنّما إدارتها وطرائق التعامل معها، تدقيقًا في صحتها وتوظيفها بشكل صائب. وهنا، علينا تقديم الموضوعات بطريقة تمكّنه من الفصل فيها بين الصواب والخطأ، عبر تقديم شخصيات تُنجز وتفكّر وتحلّ المشكلات وتكون أنموذجًا عن المواطن الصالح.

وعليه، لم تعد من وظائف أدب الطفل غير المباشرة الوظيفة التعليميّة البحتة، أو نقل المعارف، أو بناء الجسور التراثيّة والعلميّة... بل صارت مسألة إدارة هذه المعلومات والتعامل مع فوضاها، وتمكين الطفل من الفصل فيها بين الصواب والخطأ، بين المقبول والمرفوض، بين ما يمتلكه وما يحتاج اليه، وبين ما

يعرض عليه وما يناسبه وما لا يناسبه... هي المطلوبة، أي تقديم خبرة الناضج التي لا يمتلكها له، لتقوده خارج الدوامة المحشور في داخلها، ألا وهي دوامة المعلومات الخاطئة وأشباهها. وتاليًا، صار لزامًا الابتعاد عن الموضوعات التي باتت تقليديّة، والعمل على اختراق يوميات الطفل المعاصر في موضوعات تهمّه. ومن ضمن هذه الموضوعات نذكر: التوعية السياسية ومبادئ حقوق الطفل، والحقوق والواجبات، والملكيات الماديّة والفكريّة وغيرها من الموضوعات، ولا سيّما العلميّة والإعلاميّة والاقتصاديّة.

وتجدر الإشارة إلى أهمية المقاربة المعتمدة في معالجتها، وأن تأخذ في الحسبان قدرات الطفل التحليليّة والاستنباطيّة (حطيط، ٢٠٠١، ص ٦٥)، وتتوجه إلى الصبي والفتاة بالأسلوب نفسه (ص ٦٠)، للتمكّن من الإجابة عن تساؤلات يمكن أن تخطر على بال كل منهما، لأنّهما يتعرضان معًا للقضايا الشائكة نفسها، وهما معًا مضطران إلى التعامل مع كل ما هو وافد بالطريقة نفسها، ومعرضان للتعاطي مع الأوضاع والمواقف الاجتماعيّة المستجدّة والتي يمكن أن تلتقي وتتشابه، إلى حدّ بعيد، في القدر نفسه.

ومما لا شكّ فيه أنّ هذا سيساعد الطفل على إدارة مشاعره والتحكّم بغضبه، ويمكّنه من التعامل مع الجديد والغريب والمفاجئ، ومن تلقي الموضوعات الجدليّة والشائكة، وما تكتنزه من مشكلات في العالمَيْن الحقيقيّ والافتراضيّ.

وعليه، ينفي ما سبق المنطق التجاري السائد بضرورة طباعة بشكل متكرّر ما هو موجود أو نقل ما هو معروف وترجمته، ما دام المتلقّي يختلف من جيل إلى جيل. (ص ٧٦).

٥. على مستوى أساليب السرد: كيف نقدّم العالم اليوم للقراء الجدد؟

كيف نقدّم العالم بطريقة تكون أكثر مناسبة مع الواقع اليوم؟

لا بدّ من البحث عن أساليب جديدة للسرد يمكن أن توظّف في أدب جديد وتتّصف بخاصية التجدّد، وتتحقّق بوساطتها خاصيّة إثارة اهتمام المتلقّي وجذبه، وتحافظ في الوقت نفسه على ثوابت سردية، تكون عابرة للأجناس الأدبيّة ومتنوّعة الوسائط، جامعة لأكثر من فنّ من الفنون المعروفة.

وفي ما يلي عرض لبعض السيناريوهات المقترحة:

السيناريو الأول: طفل(١٢-١٦ سنة) ينتج وينشر رقميًّا

يتجسّد في رواية القصة ونشرها عبر منصّات إلكترونيّة مختلفة، في إطار ما يسمّى بالقصة الرقميّة Digital story، والتي تشكّل أداة من أدوات التعليم والتعلّم المهمّة في عصرنا، على أن تتراوح مدّتها بين دقيقتين وخمس دقائق، تنطلق من جعل المتعلّم محور العمليّة التعلميّة. وتقتضي بأن يؤلّف المتعلّم، بشكل فرديّ أو فريقيّ، قصة من واقعه ومحيطه، أو قصة تحاكي أو تعارض قصة من القصص العالميّة والتراثيّة، ويعبّر من خلالها عن أفكاره بالصوت والصورة والموسيقى والحركة والروابط Hyperlinks ، ما يُكسبه مهارات معلوماتيّة ولغويّة وتقنيّة وفنيّة وتواصليّة... وذلك، عبر استخدام برامج معالجة النصوص والصور وتحرير الفيديو وغيرها. فيخلق هذا بيئة تعليميّة إيجابيّة، ويزيد من دافعية المتعلّم وثقته بنفسه.

السيناريو الثاني: الكتابة الرقميّة التفاعليّة: محاولات كتابة

في هذا النوع من كتابة القصة الرقميّة التفاعليّة Interactive story تُستثمر الوسائط المتعدّدة، ويصبح الطفل شريكًا في العملية الإبداعيّة ومنتجًا لنصّه. ويتمّ هذا عبر استقباله "العمل الإبداعي. فيكون هناك أدب للطّفل، ثم يتفاعل معه فيُنتج نصًّا جديدًا". ومعه، يبدأ التفاعل الرقميّ من خلال التصفّح والتوريق والإبحار. وتحدث عملية التفاعل الرقميّ من خلال إعادة قراءة النص مرّات متعدّدة، ورفده بالمعلومات والملاحظات والتعليقات الممكنة، واستكمال ما نقص منه جزئيًّا أو كليًّا. (باللودمو، ٢٠١٨، ص ١٠٤ -١٠٥)، كما يتيح الإبحار، من خلال المسارات النصيّة المترابطة، إعادة بناء النص ضمن حدود معينة.(جرجور، ص

٨١)، ولا سيما في مرحلة الطفولة المتأخرة.

وتأتي هذه القراءة في باب القراءة الإنتاجيّة التي تلتقي، إلى حدّ بعيد، مع ما جاءت به نظرية التلقي عند ياوس (Hans Robert Jauss) (١٩٢١-١٩٩٧) (جرجور ٢٠١٧، ص ٧٩)، والتي لا يمكن فصلها عن التعبير المرئيّ. فأدب الأطفال، تاريخيًّا، يهتمّ بالكلمة والصورة، واليوم، باتت للصورة مساحتها الواسعة في الأعمال الإبداعيّة إلى جانب الحركة والصوت والموسيقى، ما يؤدي إلى إشراك الحواس كلّها في هذا النوع من القراءة (ليرر، ٢٠٠٨/٢٠١٠ ص ٣٩٠).

ويمكن في إنتاج السرد الموجّه إلى الأطفال اعتماد نوعين من القصص التفاعلية، ولكن يشتركان في كونهما يوظّفان الروابط في البناء السّردي، وفي تعدّد المسارات وتشعيبها إلى مواقف متعدّدة، وفي حثّ القارئ على التفاعل من خلال اختيار المسار القرائيّ الّذي يريده، ويختلفان في نوعية بنية النص.

ويفترض هذا النوع من الإنتاج السرديّ توظيف أكثر من فنّ في سرد القصة للأطفال، من جهة، والتفكير في الاحتمالات التي يفرضها التشعيب إلى مسارات، من جهة أخرى. وهذا يتيح للطفل التعرّف إلى أحداث مختلفة وردّ فعل متنوّع تجاه الحدث الواحد، وتحثّه على التفاعل معه، واتّخاذ موقف في كلّ مرّة، ما يجعل القصة الواحدة تتشعّب إلى قصص عدّة، يمكن أن تكون متداخلة، ويمكن ألّا تكون. وفي كلتا الحالتين، تكون بنية القصة مبنيّة على المواقف التي تفرض التحولات المفصليّة في الحبكة عبر استخدام الروابط Hyperlinks، على أن يظهر كلّ موقف ردّ فعل ثم حلًّا جديدًا يقود إلى نهاية مختلفة، ما يُغذّي رغبة المتعلّم في حبّ الاكتشاف.

ويمثّل النوع الأول النوع البسيط من النصّ المترابط، فيسهُل استخدامه في التعليم إنتاجًا وفهمًا، ويمكن أن يُطلق على اسم بنيته **بنية الموقف**، ويتألّف من مسارين أو ثلاثة على الأكثر، فيختار القارئ بعد كل فقرة مسار الأحداث التي يريد متابعتها. مثال على ذلك، تأخذ الشخصية الرئيسة شيئًا ما أو تتركه، أو أن تساعد شخصًا أو تحاربه، أو أن تتّخذ خيارًا معيّنًا أو ضدّه...

وعليه، لا يمكن جعل النصّ التفاعليّ الموجّه الى الأطفال نصًّا مفتوحًا، بلا حدود، أسوة بالكتابة التفاعليّة للراشدين. لكن، من الممكن أن يسمح للمتلقّين الأطفال الحوار مع أصحاب الموقع حيث يُنشر العمل السرديّ أو مع شخصيات العمل، أو ربما يتحوّلون بدورهم إلى شخصيات افتراضيّة في عوالم السرد أسوة بالأدوار التي يؤدّونها في الألعاب الالكترونيّة، ودائمًا تحت مظلة خصوصيّة هذا النوع الأدبيّ المخصّص للأطفال. (ملحم، ص ١١٠). وفي هذا السياق، أعرض أنموذجًا عن بنية الموقف انطلاقًا من قصتي "لست مذنبًا!" من سلسلة "كُنْ صديقي" الصادرة عن "هاشيت أنطوان"(٢٠٢١)، موظّفة فيها الروابط ليتنقل بينها المتلقّي كيفما يشاء. وتجدر الإشارة إلى أنّ الجمل والعبارات المشار إليها بخطّ هي الروابط المفترضة، وأنّ عدد المواقف وعدد ردود الفعل عليها غير ثابتيْن، وبحسب ما تراه المؤلفة مناسبًا.

لستُ مذنبًا!

المقدمة: "يبدو أنَّ هذا الأسبوعَ ليسَ أسبوعَ الحظِّ عندي! ضجةٌ كبيرةٌ، وضوضاءُ، ودائمًا أُلامُ على أشياء أفعلُها أو لا أفعلُها! إذ يخيَّل إليهم أنني فعلتُها أو يجبُ أن أفعلَها مِنْ تلقاءِ نفسي!! يقولون إنّني لا أُحسِنُ التصرّف، وأنا أعتقد أنّني لم أفعل شيئًا يستدعي ردّ الفعل هذا!" (جرجور، ٢٠٢١، ص ٩)

المسار الأول: <u>نهار الأحد الماضي</u>، طلب مني رفيقي في المدرسة أن أعطيَه المال لشراء منقوشة.

وهنا، عندما يبدأ الطفل بالتفاعل مع القصة، يدرك أنّ خياراته تحدّد النهايات التي يصل إليها، ما يتيح له أن يتعلّم من النتائج التي ستقوده إليها دروسًا وعبرًا مختلفة. وتاليًا، يتعلّم الطفل المتفاعل مع النصّ أنّ الخيارات تؤثّر في الحياة، وأنّه عليه أن ينتبه جيّدًا لكل موقف، ويفكّر قبل أن يختار. وفي ما يلي، أعرض أنموذجين سرديّين، يتضمّن كلّ منهما ردَّيْ فعل أمام موقف واحد، تعرّضت له شخصية الطفل – الشخصية الرئيسة في القصة:

الأنموذج الأول:

" **نهار الأحد الماضي،** طلب مني رفيقي في المدرسة أن أعطيَه المال لشراء منقوشة."

ويتأتّى، عن هذا الموقف، ردّا فعل: الأول المساعدة، والثاني اللامبالاة. ويتمّ وضع لكل منهما رابط، وتأتي نتيجة كل فعل كما هو مبيّن في الجدول أدناه:

المسار الأول: " نهار الأحد الماضي، طلب مني رفيقي في المدرسة أن أعطيَه المال لشراء منقوشة."		
الموقف	الرابط	
الموقف الأوّل:	إذا ضغط على: يساعد صديقه	يقرأ: يصاب بالجوع ولا تعطيه أخته النقود، وبعد ذلك يعود إلى المنزل.
الموقف الثاني:	إذا ضغط على: لم يساعد صديقه	النتيجة: أن أبقى ماله معه، واشترى ما يأكله(انتقال إلى مسار آخر) نهار الاثنين الماضي.
	إذا ضغط على: يعود إلى المنزل	النتيجة: فتح الثلاجة، ووجد قطعتين من الكاتو وتذكّر وصيّة أمّه: يلتزم تمامًا بما قالته أمّه أو يلتهم الكاتو ويتناسى ما قالته أمّه.
الموقف الأوّل:	إذا ضغط على: يلتزم تمامًا بما قالته أمّه...	النتيجة: تسرّ أمّه وتهنّئه.
الموقف الثاني:	إذا ضغط على: يتناسى ما قالته أمّه	النتيجة يُعاقَب، وينتهي حزينًا في غرفته.

الأنموذج الثاني: نهار الاثنين الماضي، رأى طفلاً متشرّدًا في الشارع."

ويتأتّى، عن هذا الموقف، ردّا فعل: الأول تجاهل المتشرّد، والثاني: التعاطف معه. ويتمّ وضع لكلّ منهما رابط، وتأتي نتيجة كلّ فعل كما هو مبيّن في الجدول أدناه:

المسار الثاني: " نهار الاثنين الماضي، رأى طفلاً متشردًا في الشارع."		
الموقف	الرابط	
	إذا ضغط على: نهار الاثنين الماضي	يقرأ: اهتمّ لأمره، وأدخله إلى بيته، وأعطاه ثيابه الجديدة.
الموقف الأول:	إذا ضغط على: وأعطاه ثيابه الجديدة	النتيجة: لامَتْهُ أمّه، وأمضى يوم العيد بثياب قديمة.
	إذا ضغط على: لامَتْهُ أمّه	النتيجة: ينتهي حزينًا في غرفته.
	إذا ضغط على: حزينًا	يقرأ: لم يأبه لأمره، ولم يكلّمه.

الموقف الثاني:	إذا ضغط على: لم يأبه لأمره	النتيجة: نراه وهو يرتدي ملابسه الجديدة نهار عيد ميلاده. لكنه ليس سعيدًا.
	إذا ضغط على: ليس سعيدًا	عودة إلى المسار الأول: نهار الأحد الماضي.

ويوضح الشكل أدناه تحويل النصّ المكتوب نصًّا ترابطيًّا عبر موقع تواين "Twine". وتظهر الصورة الترابط في نص القصّة خلال الإعداد قبل النشر الإلكترونيّ، ومواقع الوحدات التركيبيّة السرديّة وعلاقاتها بالوحدات الأخرى.

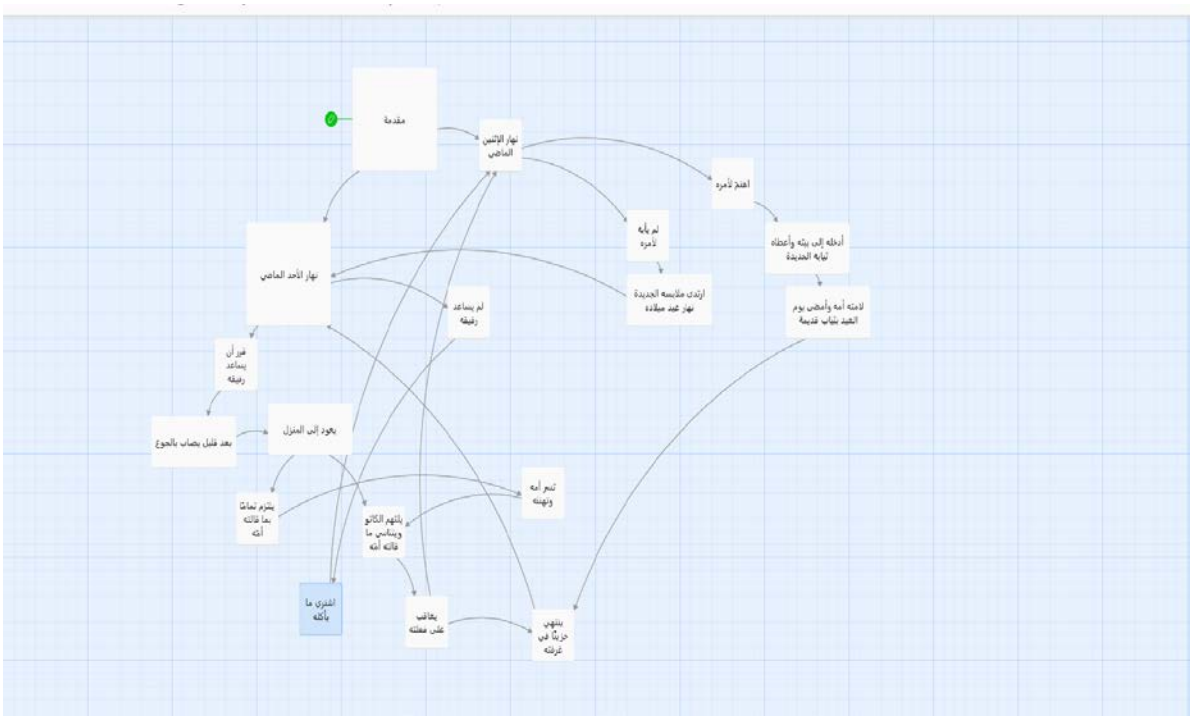

وللمزيد من الإيضاح عن بناء القصص التفاعليّة الموجّهة إلى الأطفال، يمكن الاطّلاع على مثال تطبيقيّ ثانٍ مستوحى من قصة "لا تخفْ!" من سلسلة "كُنْ صديقي" الصادرة عن "هاشيت أنطوان" (٢٠٢١)، ومنفّذ عبر برنامج باوربوينت Powerpoint، منشور في الملحق رقم ٣ من هذا البحث.

- النوع الثاني: بنية المتاهة

في هذا النوع من البنى السردية تكون نهاية النص غير محدّدة، وتؤدي فيه الروابط وظائف سرديّة عديدة: استباق، استرجاع، وصف، حذف، تناص... ويمكن أن تكون هذه الروابط كلمات أو صورًا أو جملًا تجسّد ما سبق. وهذا يعود إلى نوع القصة، وحجمها وقدرات المبدع التقنيّة. وهنا، تجدر الإشارة إلى ضرورة المحافظة على أدبيّة النصّ وألا يفرغ من مضامينه الإنسانية لمصلحة التقنية، وحتى إن تحوّل العمل لعبة، أسوة بالألعاب الإلكترونيّة. (ملحم، ص ٩٩)؛ فالأدبيّة ضرورة في هذه الأعمال، وإن امتلكت شعريّة خاصة بها. وتاليًا، يفرض هذا النوع من الإبداع أن يكون مُرفَقًا بمقاربة نقديّة تختصّ بجماليات استقبال أدب الأطفال، وكيفية تلقّيهم الخطاب الأدبيّ الموجّه لهم. مقاربات تبدأ من استقراء أفق الانتظار عندهم لتتمكّن من خرقه. هذا مع الاستعانة بمقولات علم نفس الطفل من أجل وضع أدوات إجرائيّة تتناسب مع الطبيعة الجماليّة والقيميّة لنصوص أدب الطفل(الغامدي، ٢٠١٩، ص ١٧٦-١٧٧)، وذلك بهدف كتابة أدب مستقبليّ يخاطب ابن العصر القادم(ملحم، ص ٩٩).

وفي السياق نفسه، تشكّل الكتابة السرديّة التفاعليّة أداة مناسبة في استراتيجيّة التعلّم القائم على المشاريع (خورشيد، ٢٠٢٠، ص ٢٦٢)، كونها تُنمّي مهارات التفكير النقديّ والإبداعي، ويمكن أن يوظّف، عبرها، المتعلّم الكفاية الرقميّة، فينتج قصصًا تفاعليّة عبر استخدام برامج متنوّعة ومعروفة اليوم من مثيلات: PhotoStory3- Twine- Canva-Powtoon.com-Kinemaster ، بشكل يتناسب مع قدراته في هذا الميدان. وبهذا، تضيق المسافة، يومًا بعد يوم، بين مؤلّف النصّ التفاعليّ ومتلقّيه، وتتراجع الحدود بينهما ليصبحا شريكين فعليّين في عمليّة الإنتاج. وتصبح هذه الشراكة أكثر فعاليّة وتأثيرًا إذا ما أُرفِقَتْ بدعوات تصدر من الجامعات ترعى إنتاج هذه النصوص، ليس فقط على أيدي المتعلّمين بل على أيدي المبدعين المتخصّصين في الكتابة السرديّة للوصول إلى أكبر عدد من المتلقّين. ونقول الجامعات، ولا

سيّما كليات الآداب والعلوم الإنسانية لأنّنا نفترض أنّها خير مَن يسهر على جودة الإنتاج ومناسبته للجمهور المتلقّي (ملحم، ص ١٤٧).

خاتمة

إنّ تجديد أدب الطفل عبر التوجّه إلى التكنولوجيا وما تقدّمه من إمكانات تفسح المجال واسعًا أمام تنمية الإبداع عند المتلقّين الأطفال بغضّ النظر عن السنّ، وتحوّلهم من مجرد متلقّين سلبيّين يتفاعلون مع ما يقدّم لهم من باب الإعجاب أو النفور إلى مشاركين في الاختيار. وأحيانًا، وبحسب نوع التفاعل المسموح به في العمل التفاعليّ المقدّم لهم، يمكنهم المشاركة في الحدث، كما هو الحال في بعض الألعاب الإلكترونيّة، ما يشعرهم بأهمية دورهم في تشكيل المعنى من جهة، ويمنح السرد سلطة إضافيّة تتمثّل في إعادة تشكيل أفق توقع المتلقّي، عبر ما تقدّمه من احتمالات وإمكانات، من جهة ثانية.

من هنا، تجسّد **القصة الرقميّة التفاعليّة إبداعًا في السرد يمكن توظيفه بسهولة في التعليم والتعلّم، ووسيلة عابرة للوسائط والمنصّات** تحسّن مهارات المتلقّي اللغويّة والنقديّة والتعبيريّة والتواصليّة في آن. وتجسّد، في الوقت نفسه، سيناريوًا تجديديًّا للكتابة الموجّهة للأطفال التي يمكن أن يمتهنها المتخصّصون إلى جانب المتعلّمين المتدرّجين على مقاعد الدراسة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مشاريع مماثلة بحاجة إلى أن تكون خاضعة لسياسية خاصة بأدب الطفل المكتوب والمرئيّ والمسموع، وأيضًا بالحاجة إلى:

- تكثيف الدراسات عن تلقّي أدب الطفل وإجراءات مناقشات حول ما يجب أن يكون عليه هذا الأدب، بين التأليف والتعليم والنشر... ولا سيّما النشر الإلكترونيّ الذي بات بدوره يشكّل إشكاليّة حول مدى إسهامه في زيادة قابلية الأطفال على قراءة القصص الموجّهة إليهم.

- كتابة قصص تفاعليّة تدعمها جهات راعية للموضوع: تأليفًا ونشرًا، مع تأمين الدعاية وحماية حقوق المؤلف، تعبّر عن كل ما أشرت إليه في سياق الكلام على الموضوعات، مع تنسيق تام مع المدارس في القطاعين الرسميّ والخاص.
- تحفيز المبدعين في هذا المجال للعمل في صناعة محتوى أدبيّ للطفل العربيّ، عبر إنشاء مواقع ومواد مناسبة إضافيّة لما هو موجود، وتأمين الرعاية الماديّة لها وللقيّمين عليها تضمن استمراريتها.

المصادر والمراجع العربية

- إبراهيم، ملحم (٢٠١٣). **الأدب والتقنية مدخل إلى النقد التفاعليّ** (ط١). إربد : عالم الكتب الحديث.
- ليرر، سيث (٢٠١٠). **أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر**(ط ١). تر. ملكة أبيض. دمشق: منشورات الهيئة العامّة السّورية للكتاب. (نشر العمل الأصلي ٢٠٠٨).
- باللودمو، خديجة(٢٠١٨). **الأدب الرقميّ العربي الموجّه للأطفال دراسة في المنجز النقديّ (أطروحة** دكتوراه بإشراف : أ.د. العيد جلولي). جامعة قاصدي مرباح ورقلة – الجزائر
- جرجور، مهى(٢٠١٧). الأدب في مهبّ التّكنولوجيا (ط ١). المغرب: المركز الثقافيّ العربيّ
- ـــــــــــ (٢٠١١). **طفلي ماذا اقرأ له؟** (ط١). بيروت: كتابنا للنشر.
- ـــــــــــ (٢٠٢١). **لا تخفْ!** (ط١). بيروت: هاشيت أنطوان.
- ـــــــــــ (٢٠٢١). **لست مذنبًا!** (ط١). بيروت: هاشيت أنطوان.
- حطيط، فادية (٢٠٠١). **أدب الأطفال في لبنان** (ط ١). بيروت: دار الفكر اللبناني.
- خورشيد، عصمت (يناير، ٢٠٢٠)."دور فنون أدب الطفل الرقميّ في تنمية مهارات طفل المرحلة المبكرة العربي والأفريقي في القرن الحادي والعشرين – دراسة تحليلية ورؤى مستقبلية" **مجلة الطفولة والتربية** (٤١)(٢) (١٢)، ٢٤٦-٢٧٠. تمّ الاسترجاع في (١ أيلول ٢٠٢٤- ١٠:٠٠ صباحًا) من: https://search.shamaa.org/FullRecord?ID=299662

– الغامدي، منى محمد صالح (سبتمبر، ٢٠١٩). "نحو أفق تلقٍ في أدب الأطفال، دراسة نقدية في أسس نظرية التلقي عند ياوس". **علوم اللغات وآدابها** (٢٤)، ١٦٩-٢٢٦. تمّ الاسترجاع في (١ أيلول ٢٠٢٤- ١٠:٣٠صباحًا) من: https://drive.uqu.edu.sa/_/jll/files/24/jll-24-3.pdf

ملحق ١: سلسلة "كن صديقي" لمهى جرجور(٢٠٢١)

أولاً: "أنا أنا...هنا!" – (٧-٩ سنوات) مناسب للحلقة الأولى من التعليم الأساسي . وفيه قصتان: " أنا أنا...هنا!" و"يوم سيّيء".

ثانيًا: لست مذنبًا! مناسب للحلقة الثانية من التعليم الأساسي، وفيه: "لست مذنبًا! وتوقف توقف!"

ثالثًا: "لا تخف!" مناسب للحلقة الثانية من التعليم الأساسي أيضًا وفيه "لا تخف ومشاكسون... ولكن".

ملحق ٢: عناوين ببعض المواقع المخصّصة للأطفال

- اقرأ قصص للأطفال https://www.eqrae.com/
- بيت الكتب https://shorturl.at/Yt7WO
- دار الهدى للنشر https://daralhuda.net/ar/
- السلوى https://alsalwabooks.com/ar/
- عصافير https://3asafeer.com/
- قارئ جرير https://jarirreader.com/
- متجر الطفل القارئ https://thereaderchild.com/
- مكتبة بنيان https://binyanbooks.com/
- مكتبة نوري https://noorybooks.com/
- منصة كيدز زون Kidzoon https://kidzooon.com/

- موقع أراجيك روايات للمراهقين https://www.arageek.com/
- موقع أطفال بووك https://atfalbook.blogspot.com/p/atfalbook.html
- موقع تكوين https://takweenkw.com/
- موقع حكايات شعبية للمراهقين والرّاشدين https://www.7kayatsh3bya.com/
- موقع قصص واقعية https://www.storiesrealistic.com/
- موقع قصص وحكايات https://www.qisasse.com/
- موقع قصصي قصيمي نت https://www.qassimy.com/
- موقع كل يوم قصص واقعية https://www.storyrealistic.com/
- موقع مكتبة https://ar.library.dctabudhabi.ae/childrens-ar

ملحق ٣: صور عن نموذج تفاعليّ: قصة "لا تخف!"

لا تخف!

رامي يشعرُ بالقلقِ والحيرةِ منذُ رأى رفيقَهُ في الصّفِّ سامر يلمُّ عنِ الأرضِ محفظةَ نقودٍ الاستاذ ويُخفيها في جيبِهِ، ويفكر في الأستاذ وحاله...

ماذا يفعل؟

لا يخبر أحدًا عنِ الموضوعِ

يخبر أهله

لا تخف!

• أخذ يحدّثُ نفسَهُ:"هل يمكن أن يؤذيَني سامر؟ بالطّبع لا! لأنني ببساطةٍ لستُ شريكَهُ!
دخلَ الحمامَ واغتسلَ، واغتسلَ، ودموعُ عينيهِ كفكفَ...
قلبُهُ لا يزالُ يرتجفُ، وهو الآن خائفٌ ومتردّدٌ، يفكر في الأستاذ وأولاده الصغار، لم ينم حتى طلع الصباح.

طلع الصباح

يستدعى رامي إلى الإدارة مع سامر، وقف أمام الإدارة ونظر إلى سامر، كان هذه المرة مختلفًا، لم يبدُ قويًّا كما شعر به رامي أمس. وقفا أمام المدير الذي وجه له الكلام بشكل مباشر ، وكشف له الفيديو المصور الذي يظهره مع زميله في الصف.

حلف رامي أن لا علاقة له بالموضوع، ولكن المدير أصرّ عليه أن الإنكار لن يفيده.

هزّ المدير رأسه، وطلب منهما ان يعيدا المحفظة المسروقة وإلا سيبلغ والديهما، ويتّخذ إجراءات قاسية بحقهما.

إعادة المحفظة المسروقة

خشي سامر من أن يكبر الموضوع، وخشي من أن يعرف والدُه، وهو ينظر إلى الأرض.

وشعر بالندم لأنه علم أنّ الأستاذ بحاجة ماسة لمحفظته وأن اوراقًا مهمّة موجودة فيها ومبلغًا من المال، وأنّه سيواجه الكثير من المشاكل بسبب فقدان المال والوثائق.فهمس اعتذاره همسًا، وردّ المحفظة للأستاذ.

المدير يبلغ الأهل

اتّصل المدير بأبي رامي وأبلغهم بالحادثة. فوجئ أبو رامي بما سمعه ووعده بأنه سيحلّ الموضوع. ثمّ يتّصل بوالد سامر فلا يجده، ويقرّر أن يتّصل ثانية.

يخبر رامي أهلَه

يروي رامي أمام أسرته تفاصيلَ الموضوع. استمعوا له باهتمامٍ بالغ، وقالت:"رامي لا تَخفْ، أنتَ لستَ مذنبًا!" وغمرتْهُ بحنانٍ وتبخّرَ خوف رامي تبخّرَ...ووضع أبو رامي خطّة لحلّ الموضوع، بعد أن احتار بين أنْ يُبلغَ والد سامر لينبّهَهُ أو أنْ يُبَلغَ الأستاذَ ليُحقّقَ بنفسه في الموضوعِ ويحميهِ.

الأستاذ يحقق في الموضوع

في صباح اليوم التالي، نرى الأستاذ في مكتب المدير يراقب شريط الفيديو، ويعجب لما يراه، فيديو كامل وواضح لسامر وهو يلم الحقيبة ورفيقه رامي وهم في الصف. واقعة السرقة مثبتة بالصوت والصورة.

الأستاذ

وبخطًى ثابتةٍ، وقلقٍ بادٍ على المحيا، تقدّمَ الرّجلُ منَ المجتمعينَ الّذينَ ما إن رأَوهُ حتّى تحوّلَتْ وجوهُهم إلى علاماتِ تعجُّبٍ وحَيْرةٍ:"كيفَ عرَفَ؟ ومَنْ أخبَرَهُ؟"

قالَ الزّائرُ: "اليومَ صباحًا، كنتُ شديدَ القلقِ على ابنتي، لم أكنْ قادرًا على التّركيزِ جيّدًا في المدرسةِ، ففقدتُ محفظتي، وفيها أوراقي الثّبوتيّةُ وبطاقةُ التأمينِ ومبلغٌ من المالِ. بحثْتُ عنها كثيرًا، ولم أجدْها! وقلِقْتُ جدًا. فمصيرُ ابنتي المريضةُ التي ستخضعُ لعمليّةٍ غدًا متعلّقٌ بمحتوى هذه المحفظةِ، وجئْتُ لأسألَكُم، ربما تعرفون شيئًا عن الموضوع..."

أخفضَ سامرٌ عينيهِ وتمنّى لو أنّ الأرضَ تنشقُّ وتبتلعُهُ. ومن دونِ تفكيرٍ قدَّمَ المحفظَةَ للأستاذِ .ونظرَ إلى والدِهِ، ورأى أنَّ ملامحَهُ تغيَّرَتْ وأساريرَهُ انفرَجَتْ، وشعرَ مجدَّدًا أنّه استعادَ ثقتَهُ به.

الجار

– الجار: مساء الخير جار، هل هذا الشاحن لك؟ وجدته في الحديقة.

– أبو سامر: (متأملاً الشاحن) لا أبدًا، شكرًا على اهتمامك.

يذهب الجار، بعد لحظات يدق الباب، يلتفت الجميع صوب الباب. يعاود أبو سامر فتح الباب، يرى الجار نفسه، يحمل بيده آنية للزهور، أهذه لك أيها الجار العزيز؟

– أبو سامر: (متأملًا الآنية) لا ، ابدًا، شكرًا، ويغلق الباب.

وبعد لحظات، يدق الباب للمرة الثالثة، ويهم ليفتح بعصبية، يتبعه رامي وسامر، فيرون وجه رجل آخر، فيصرخ الولدان: أستاذ!!

رامي في سريره

اندسَ في سريرِهِ، التحفَ بغطائِهِ، لمْ يمنحْهُ الغطاءُ الدّفءَ. فصار يردّدُ في نفسِهِ" لا تخف... لاااااااااااااااااااااا تَخَفْ،لا تَخَفْ...لام ألِفْ لا تَخَفْ،لاااااااااااااااااااااا تَخَفْ.. لام ألِفْ لا تَخَفْ..."

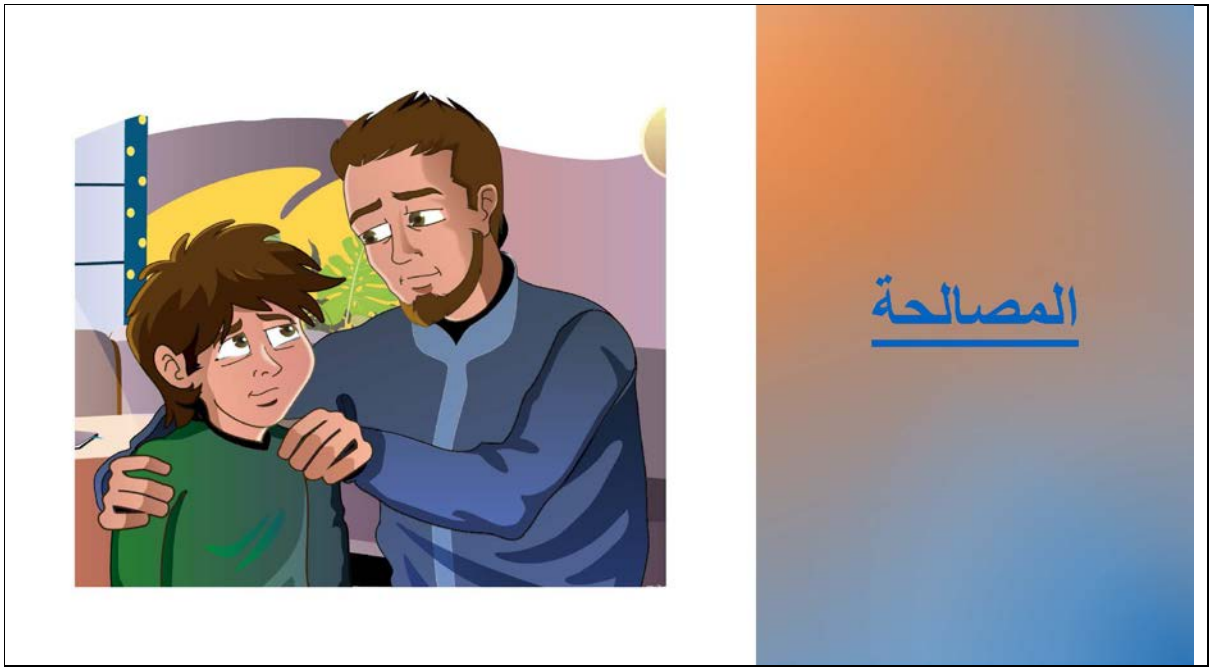
المصالحة